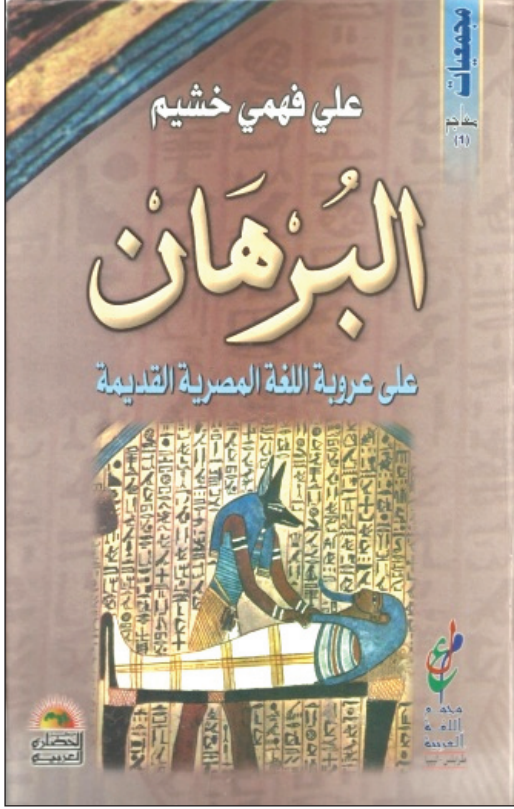


عرض المجتنب



البُرْهَان

على عروبة اللغة المصرية القديمة

المؤلف: أ.د. علي فهمي خشيم
الناشر: مركز الحضارة العربية -
القاهرة (الطبعة الأولى)

سنة النشر: ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

مقاس الكتاب: ١٧ × ٣٤ سم

عدد الصفحات: ٩١٢ صفحة

ردمك: ٢٠٠٧/٢٥١٩م

عرض: أ.د. عبدالرحيم محمد خبير

الفرعونية. وكان قد أبان في كتابه المعنون: (آلهة مصر العربية، الجزء الثالث، المجلد الثاني ١٩٩٠: صفحات ٥٨٣-٦٤٤) التوافق الذي يوشك أن يكون تاماً بين المصرية القديمة والعربية في قضايا من مثل: الاسم، العدد، علامة الجمع، العطف، التثنية، الإضافة، المنادى، الضمائر، أسماء الإشارة، أداة التعريف، الأسماء الموصولة، الصفة، الأفعال، حروف الجر، أدوات الإستفهام،... الخ.

وناقش في كتابه: «البُرْهَان على عروبة اللغة المصرية القديمة» (المصرية القديمة والعربية المعاصرة) بالتفصيل إشتراك اللغتين في مسائل: تركيب الجملة، الاشتقاق، أدوات الاستثناء، إنَّ «التوكيد»، نون الوقاية، البدل، القلب والإبدال، الأضداد، القطع والإسقاط، المزيد والمضغف والمضاعف، الفعل المعتل الآخر، المفاضلة، المبالغة، النسبة، الاسم الموصوف، المصدر، «سوف» المستقبل، أدوات

يشتمل الكتاب على مقدمة (ص ١-٥١)، ومعجم مفصل للغة المصرية القديمة (ص ٥٥-٩١٢). تطرق الباحث في المقدمة للحديث بوجه عام عن اللغات واللهجات في المنطقة العربية، وأبان أن ثمة علاقة بين اللغتين المصرية القديمة والعربية العدنانية أو المضرية، لغة جزيرة العرب التي نزل بها القرآن الكريم وانتشرت بفضلها إلى أقاصي الدنيا. وتشير الأدلة التاريخية إلى الصلات بين هاتين اللغتين معاً، أو كلاً على حده، ولغات الوطن العربي القديمة في مختلف أقطاره، بحكم النشأة الأولى من جهة، وبحكم الصلات المستمرة عبر أطوال التاريخ.

أثار هذا المؤلف ضجة في الأوساط العلمية الأوروبية والعربية وقوبل بالدهشة من قبل العديد من العلماء، وقام «علي خشيم» بدراسة مقارنة للغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) بالمكافئات العربية للمفردات المصرية

ولع، فرغ / فغر). وهو ما لا يزال في اللهجة، مثل الليبية يطفى/ يطفى (= يُطفئ)، يشعل/ يشعل، (قعمز/ قعمز). وفي اللهجة المصرية الدارجة: (أرانب/ أنارب). وسواء كان هذا القلب نتيجة خاصية في اللغة العربية عند ابن جني ما أسماه (الاشتقاق الكبير) أو نتيجة اختلاف اللهجات فهو ظاهرة معروفة على كل حال. وهذا ما نجده في اللغة المصرية القديمة كذلك: فكلمة «م رج» مثلاً تترجم إلى الإنكليزية (Lance) وهي العربية «رمح».

أما الإبدال فهو من أكثر الظواهر شيوعاً في العربية، ومعناه أن يبدل صوت بآخر يكون في الغالب الأعم قريباً من الصوت المبدل، ولا يمتنع أن يكون بعيداً عنه. وهذا ما يعرف بـ «التعاقب» كذلك، حيث لا ندري في معظم الأحيان أي الصوتين أصلي وأيهما مُبدل، فنقول إنهما تعاقبا، أي حل أحدهما محل الآخر، أو أعقب أحدهما الآخر. ويلحظ أن العلاقات التي تبرر الإبدال اللغوي في أربع: التماثل، التجانب، التقارب والتباعد. والإبدال مشهور في تاريخ العربية الفصحى وفي اللهجات العربية الحديثة. ومن الأمثلة المعروفة في كتب قواعد اللغة المصرية القديمة الكلمة الشهيرة «س د م» "s d m" وهي تعني «سمع». وقد أبدلت العين بالصوت «د د» فهي «س ع م» وهذه مقلوب «س م ع» كما نرى، ولكي نؤكد أنها مقلوقة ومبدلة نوضح أنها قلبت في لهجة عرب الشمال الإفريقي (= الجبالية) وأبدلت عينها غيناً فكانت «م ز غ» = سمع بالعربية الفصحى (انظر: الجندي ١٩٧٨م).

ومما سلف ذكره، يتضح أن ثمة تشابهاً لا تخطئه العين بين اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) ونظيرتها العربية (الفصحى والعامية). بيد أن علماء الغرب الأوروبي، ولأهداف سياسية استعمارية، كانت تتوشح العلم - كما ذكر الباحث على خشيم - وجهوا اللغة الهيروغليفية ورموزها وجهة تتفق مع نمط كتابتهم وأصوات لغاتهم، فكانوا أن قلبوا أشكال هذه الرموز (مئات الرموز إضافة إلى أربعة وعشرين حرفاً هجائياً) وعكسوها صورة ومسار كتابة. فالرموز الهيروغليفية تكتب عادة من اليمين إلى اليسار وأحياناً من أعلى إلى أسفل، فلكي تسهل قراءتها حول المتأخرون من علماء الغرب مسار الكتابة لتصبح من اليسار إلى اليمين وترافق مع ذلك عكس صور الرموز بالطبع، فصرنا نقرأ الهيروغليفية مقلوقة، أي أننا نقرأ التاريخ

الاستفهام، المركبة، التعدية.

وتجدر الإشارة إلى أن اللغة المصرية القديمة قد شاركت نظيرتها العربية في عدد كبير من التعريفات، فإن لم يكن، لأن العربية تطورت بصورة فاقت غيرها، فإن المقارنة ببعض العرييات تكشف عن التماثل فيما بينها. وشاركت المصرية العربية في اتخاذ التاء للتأنيث، واستعمال الواو للجمع، وتظهر في الفعل الماضي في العربية: سمعو (ا) وفي المضارع: يسمعو (ن)، وفي الأمر: أسمعوا (ا). وفي الاسم: سامعو (ن). الألف مزيدة رسماً والنون أيضاً مزيدة بدليل حذفها عند الإضافة: سامعو الخبر.

واتفقت المصرية والسبئية (لغة اليمن القديمة) في اتخاذ الياء للمثنى (المصرية: تا (أرض) تاوى (أرضان) وفي السبئية: ثنتي صفحتي: صفحتان. ثنى محفدي: محفدان). وهي كالعربية عرفت ياء النسبة (ر س: جنوب. رسيث: جنوبية - بياء النسبة وتاء التأنيث). وتميزت المصرية بالنسبة إلى المؤنث بالياء (ضحوت: القمر (=ضحوة). ضحوتي: قمري. وهذا نادر في اللغة العربية عدا بعض الكلمات، كالنسبة إلى أهل الملامة وهم جماعة صوفية: ملامتي، ملامتية.

ووافقت المصرية السبئية والأمازيغية (البربرية - في شمالي أفريقيا) في تعدية الفعل بالسين: س. خرخر: أوقع (أخر). س. هاي. أهبط (أهوى). س. حم: سخن (أخمى) س. نشث: قوى (نشط). كما عرفت ميم المكان (مأعرت=مغرت: كهف. مغارة. مكتار (مكتر: حصن، برج = مجدل). وكذلك ميم الآلة: مأركبتا=مركبت: عربية، مركبة. . الخ. ولو أن هذا قليل، غير أنها تشارك الكنعانية التي تندرج فيها ميم المكان، وهي مرحلة متطورة لم تبلغها اللغتان إلا نزرًا بعكس الحال في العربية العدنانية.

غير أن هناك بعض الظواهر البارزة المشتركة بين المصرية والعربية في حاجة إلى شيء من التفصيل توضح للقارئ ما قد يراه غريباً عند المقارنة ما بين اللغتين، وتزيل اللبس لديه عند مكافأة كلمة مصرية بأخرى عربية وأهمها - إضافة إلى ما تم إيراده أعلاه: القلب والإبدال. فالقلب أو القلب المكاني في المعاني هو أن يقدم حرف الجذر الثلاثي ليحل محل آخر في الجذر نفسه، يؤخر ويظل المعنى مع هذا واحداً، من مثل: (جذب/ جذب، عطس، سعط/ لوع،

مقلوباً هو الآخر!

تفصيلاً. وقد يكتفي أحياناً بذكر الكلمة العربية المكافئة للكلمة المصرية من دون تفصيل لوضوحها. ويلحظ أن كل كلمة جديدة الدلالة تبدأ بنجمة يتلوها المشتق منها أو ما له بها صلة دلالية، ثم تلي كل كلمة أخرى بدلالة أخرى بذات النجمة - وذلك تسهيلاً على القارئ حتى يتمكن من الربط بين اللفظ والدلالة والاشتقاق.

خلاصة القول، أن كتاب علي فهمي خشيم (البرهان على عروبة اللغة المصرية القديمة) يعد إضافة جديدة للمكتبة الأثرية سيما وأنه قد أمدنا بمنهج غير مسبوق لدراسة اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية)، ما يعطي دفعة جديدة للبحث العلمي الخاص بهذه اللغة. وقد تميّط هذه القراءة الجديدة اللثام عن وقائع وأحداث مجهولة في التاريخ المصري الفرعوني. ولا أخال نفسي أعدو الحقيقة إذ قلت أن هذا المنهج الرائد في دراسة اللغة المصرية القديمة قد يكون ملائماً أيضاً لسبر أغوار "اللغة الكوشية - المروية" المنحدرة أساساً من أصول فرعونية مصرية متأخرة - (ديموطيقية وهيراطيقية)، ولا تزال لغزاً محيراً لدارسي حضارة السودان القديم.

ولابد أن أثبت هنا أن هذا الإصدار سيكون مرجعاً مهماً للمشغلين بآثار وتاريخ الحضارة المصرية الفرعونية ونظائرها في العالم القديم لسنوات عديدة آتية. ويلزم التنويه أن هذا الكتاب قد سطر بلغة عربية قشبية وبأسلوب أكاديمي جاذب، ما يجعله في متناول المتلقي سواء أكان متخصصاً أو قارئاً عادياً. والله المستعان.

ومما زاد الطين بله - كما نوّه خشيم- أن نقلت الرموز الهيروغليفية حرفياً إلى الحروف اللاتينية برغم أن المصرية القديمة تحتوى على أصوات لا وجود لها في اللغات الأوروبية، من مثل العين والحاء والطاء والقاف، مما لا مقابل له في الألف ياء اللاتينية. وتبع ذلك أن كل باحث غربي من المهتمين بالهيروغليفية كان يستبطن رمزاً من اللاتينية يضيف تحته نقطة أو خطأ يومئ به إلى الصوت المعني. ومن هنا جاء الاختلاف في العلامات. وعلاوة على ذلك، افترض الغربيون أن المصرية لا تحتوي على أصوات نجدها في العربية من مثل الضاد والطاء، فوضعوا بدلاً منها الدال أو التاء، ودرجت القراءة على هذه الصورة حتى رسخت، وهي قد لا تكون كذلك. وزادوا على ما تقدم، أن افترضوا تحريكاً للصوامت، إذ المصرية كبقية العروبيات تعتمد الصوامت وأكثرها من الصائت (e) مساوقة للغات الأوروبية دونما دليل على وجود هذا الصوت في المصرية القديمة (cf. Budge 1920).

وتحدث في الفصل الثاني (الأخير) من هذا الكتاب (صفحات ٥٥-٩٠٩) عن المعجم في اللغة المصرية القديمة، مبيناً قواعد هذه اللغة والكلمات الأحادية والثنائية المقطع. ويحتوي المعجم كذلك على آلاف الحروف اللاتينية المصورة للرموز الهيروغليفية والترجمة إلى الإنكليزية، وإلى يمينها النص المصري بالحروف العربية، ثم ترجمة المعنى بالإنكليزية إلى العربية، يلي هذا بين قوسين () المقابل العربي، المصدر، أولاً ببسط مميز ثم ما اشتق منه بعد ذلك، إذا كانت ثمة ضرورة لتوضيح المكافئ بصورة أكثر

أ. د. عبدالرحيم محمد خبير: عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة بحري- السودان
khabirjuba@hotmail.com

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

خشيم، علي فهمي، ١٩٩٠. آلهة مصر العربية، الجزء الثاني، المجلد الثاني (نشر مشترك: الدار الجماهيرية "ليبيا"، ودار الآفاق الجديدة "المغرب".

الجندي، أحمد علم الدين، ١٩٧٨. اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، طرابلس.

ثانياً: المراجع غير العربية

-Budge, W. 1920. An Egyptian Hieroglyphic Dictionary,

London.